

أشكال المقاومة عند المثقفين بين الداخل والخارج:

نماذج من الرواية الجزائرية المعاصرة

Forms of resistance among intellectuals, inside and out: Models of the contemporary Algerian novel

طالب دكتوراه: حمزة بوزيدي

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة محمد لمين دباغين-سطيف2-سطيف(الجزائر)

hamzabouzidi222@gmail.com

رقم الهاتف 0658238847

ملخص البحث

يقال إلى تبيان بُعد المقاومة لدى المثقف في بعض النصوص السردية الجزائرية الجديدة، من خلال علاقته بالفضاء الاجتماعي من جهة، وبمراكز السلطة من جهة أخرى، وما يترتب عن ذلك من مظاهر العنف والإقصاء والتهميش، في مقابل الثبات والمقاومة والتجاوز داخل حدود الوطن.

كما يتطرق المقال أيضا، إلى المثقفين المهاجرين خارج حدود الجغرافيا، ويبحث الكيفيات والآليات والكفاءات النفسية والثقافية المعتمدة من طرف المثقفين في سياق ما يعرف بعملية "التقنع الثقافي"، التي تمكنهم من إعادة التمرکز في تلك الأماكن البيئية وأداء الدور بفعالية بعيدا عن ضغوط الثقافة والسلطة والآخر.

الكلمات المفتاح : مقاومة؛ مثقف؛ سلطة؛ عنف؛ وطن.

Summary:

This article aims to show the dimension of the resistance of the intellectual in some of the new Algerian narrative texts, through its relationship to social space on the one hand, and the centers of power on the other hand, and the resulting manifestations of violence, exclusion and marginalization, in exchange for stability, resistance and transgression within the borders of the country.

The article also deals with immigrant intellectuals outside the boundaries of geography, and examines the psychological, cultural mechanisms, mechanisms and competencies adopted by the intellectuals in the context of what is known as the process of "cultural persuasion", which enables them to reposition themselves in these interstitial places and play the role effectively away from the pressures of culture, power and the other.

Key words: resistance, cultured, authority, violence, homeland.



أولاً: مقدمة:

يتألف الكيان الاجتماعي من شرائح كثيرة، تتفاعل فيما بينها ضمن وحدة جغرافية وأطر سياسية وقانونية وفكرية تفرضها السلطة بتزكية من الشعب، هدفها ضمان الأمن والاستقرار والرفاهية، ولكن هذه السلطات المركزية قد تحيد عن غايتها تحت ضغط ظروف ذاتية وموضوعية، داخلية وخارجية عديدة، ما يدعوا فئات اجتماعية مُحددة لإعلان تمردا ومُقاومتها للانحراف والتبعية والتمركز وكل ما يمت بصلة للجمود والانحطاط.

من ضمن هذه الفئات فئة "المتقفين"، وليس المتقف، الذي يستحق هذه التسمية، هو المسؤول عن استمرار الحكام المستبدين، بل هو من يواصل الفضح والسخرية وتشريح الإيديولوجيات المتهافئة، وابتداع نُصوص التخييل المقاومة للغة المتخشبة والعنف الصراح¹.

ليست الغاية من هذا المقال أن نحيط بمفهوم المتقف أو أن نستعرض الإشكاليات المتعلقة به، وإنما استقصاء أشكال المقاومة الثقافية لديه في بعض النصوص السردية الجزائرية، عبر مستويات ومراحل مختلفة، انطلاقاً من المقاومة الداخلية إلى المقاومة خارج حدود المكان والجغرافيا.

وعلى هذا الأساس تتمحور إشكالية المقال على النحو التالي: كيف تظهت المقاومة الثقافية للمتقف في هذه المتون السردية؟ ما هي طبيعة المواجهة بين المرأة المثقفة والآخر الذكوري الأصولي؟ ما هو موقف المتقفين من مراكز السلطة؟ ما هي نوعية العلاقة بين فئة المتقفين وغيرها من الفئات الاجتماعية الأخرى؟ وما هي عقبات المتقف المهاجر وكيف تمكن من تجاوزها؟ وما هي آليات التي يفعلها المتقف للمقاومة في المنفى؟.

ثانياً: المرأة المثقفة ومقاومة الذكورة:

أبدعت الروائيات الجزائريات نُصوصاً سردية نسوية مفعمة بالغضب، "تفيض بخطاب الاحتجاج ضد الوأد الذي مُرس على المرأة ولا يزال بواسطة

خلق إبداع سردي فيه الكثير من التحريض والثورة لمواجهة سلطة المركز في المجتمعات الذكورية والمتمثلة في سلطة الرجل كآخر بالنسبة لذات المرأة "2.. الراغبة في استعادة تمركزها وتفاعلها داخل المجتمع، لأن السرد لطالما منح شخصيات المثقفين المساحة الكافية للتعبير عن آلامهم وفصح القضايا المسكوت عنها.

في رواية " الممنوعة " لمليكة مقدم تمثيل سردي مكثف لمعاناة المرأة الجزائرية المثقفة من الإقصاء والتهميش والظلم المادي والمعنوي في البيئة الصحراوية تحت ظروف طارئة شهدتها الجزائر، على إثر تنامي المد الأصولي المتطرف، وهو ما ألقى بظلاله على وضعية المرأة في ذلك الحين، وبدون مقدمات تفصح الطيبية المهاجرة " سلطنة مجاهد " عن إحساسها تجاه الواقع الجزائري في مدينة طفولتها " عين النخلة "، والمتمثل في المواجهة والصدام، فتقول :

" بعد عشر سنوات من الغياب والحنين المعذب، ها أنا أدخل عين النخلة دون أن أشعر. لولا حضور هذا الرجل، كنت سأفقه بصوت مرتفع. لدي إحساس فظيع بأن لقائي بهذه المنطقة سيتحول إلى مواجهة عنيفة وأن ألف حنين يكون وقعها أخف بكثير من الواقع الجزائري "3.

لم يكن تفضيلها لآلام الغرباء على الواقع المحلي، إلا لإدراكها المتكامل بالحالة الفكرية المتأزمة للذات الرجولية المتمركزة والمنغلقة، الراغبة في امتلاك كل شيء باسم التدين وتطبيق الأصول، بدعم من المنصب السياسي المتاح في المنطقة، وتبدأ الطيبية في تشخيص سائق سيارة التاكسي انطلاقاً من هويته المظهرية ووصولاً إلى هويته الفكرية، فتقول:

" كان عليّ أن أصفح هذا الشخص الدنيئ. تأججت هذه الرغبة بداخلي ثم انطفأت. اكتفيت بمراقبة الرجل باحتراس. كانت جاكيتته متسخة وممزقة. وكانت عيناه تحويان قطرتين من الفدى في الزوايا الداخلية وهي ما فتئت تطلق النظرات المذعورة الخاطفة في المرأة الإرتدادية "4.

وبدوره يقوم سائق السيارة الأصولي " علي مرباح " بمسح مظهري لهيأة الطيبية " سلطنة " في المرأة الإرتدادية للسيارة، ثم توجيه الأسئلة التي

تحمل طابع الأوامر، فتتأرجح بذلك المواجهة بينهما في شكل ثنائيات ثقافية مَوْغلة في الاختلاف (رجل/إمرأة، مُلتحي/ متبرجة، منغلق/متحررة)، تتحدث "سلطانة" عن هذا الموقف قائلة:

" لم أنس شيئا. لا ذلك الفضول الجارح. ولا ذلك التدخل السافر الذي يدعي امتلاك كل الحقوق. حينما يُرفع التفتيش التعسفي إلى مُستوى المجاملة، تكتسي الأسئلة طابع الأوامر ويتحول الصمت إلى اعتراف بالفضيحة"⁵.

يتواصل هذا الشد والجذب على طول الطريق المؤدي للمستشفى في مدينة "عين النخلة" الصحراوية، وتكتسي إذن، المواجهة بين المثقف/الأنثى والأصولي/الذكر، طابع الصراع والتحدي الصامت البليغ الذي ينفتح على تفاصيل الرؤى ونتائج التحدي، تقول مُعبّرة عن ذلك:

" يراقبني السائق في المرأة الإرتدادية بعينين راضيتين. تشابكت نظرتنا، تبارتا في مواجهة صامتة. كان الإزدراء واضحا في نظرتي، أعبر عن حقارتي له، كان أول من حط عينيه . أعرف بأنه سوف لن يغفر لي هذا التحدي"⁶.

هذا النسق الصدامي أدى إلى أزمة داخلية لدى الطيبية، ومن بوادرها، غياب أي مؤشرات على المشاركة الفعلية داخل السياق الاجتماعي والثقافي المقترح داخل نص الرواية، فلا نكاد نعرثر على أي انسجام بين المرأة ومُجتمعها؛ إذ تبدو البطلة في صورة غير مُستقرة، كثيرة التساؤل عن سلوكيات الآخرين وتخلفهم وازدرائهم لها في كل تفاعل اجتماعي، تقول:

" ألقيت نظرة فزع إلى الشارع. يعجُّ أكثر بكثير مما كنت أراه في كوابيسي. بلا خجل، يفرض الشارع تفضيله للذكور شاهرا عنصريته الصارخة تجاه الإناث. إنه حامل بكل المكبوتات، بكل الحماقات، ملوث بكل الشقاءات"⁷.

يدفع التعصب والجهل الفكري الوحدات النبوية الصغرى (الأسرة) إلى كسر نسق الإنفتاح الثقافي لدى المرأة الصحراوية، وذلك عبر التصدي المسبق للطفلة (دليلة) ومنعها من مزاوله دراستها خشية أن تسلك طريق أختها سامية التي هربت إلى فرنسا لمتابعة الدراسة، تحكي " دليلة " للأستاذ الفرنسي عن تصرف أهلها معها، فتقول:

" حينما نتحدث أُمي عنها، إخوتي يقولون بأن سامية فتاة بلا أخلاق. هذا ليس صحيحاً! إن سامية تريد فقط إتمام دراستها وتتنجول في الشوارع متى أرادت وأن تعيش في هُدوء. أما إخوتي، لا يفكرون فيها إلا لشتمها. أحياناً، يقولون لي: (أنت، لن تذهبي إلى المدرسة. لن نتركك تفعلين مثل سامية!) " ⁸.

يعاني المجتمع الجزائري آنذاك، فراغاً وفجوة على المستوى الفكري والثقافي، ونظراً لندرة المثقف وتغييبه عن أداء دوره الثقافي التنويري، فإن الفكر الأصولي المتطرف هو من يتقلد هذه المهمة الحساسة، فتحل الخطب والمواعظ مكان الدروس والمناهج، وتتعالى لغة العنف على لغة الحوار وتتعبأ الذهنيات بالحميَّات الهوياتية الخادمة لمشروع السيطرة على السلطة.

ويعتبر ذلك عبر خطابات الأمر والنهي والتهديد والدعوة إلى العودة للأصول والتشبه بالنبي ونسائه، والوعيد بنار جهنم للرافضين الإنصياع لهذه الدعوات السياسية التي تستغل تشابك الظروف والأزمات الاجتماعية والاقتصادية واللعب على أوتار العاطفة الدينية، تقول التلميذة " دليلة ":

" حماقات الأحاديث التي نريدنا أن نعيش مثلما كانت تعيش نساء وبنات الرسول محمد. كم عرفنا من محمد منذ الرسول؟ وإذا رفضت الإنصياع إلى هذه التعليمات، يَعدونك بنار جهنم. يتلذذ المعلمون بشرح عذاب جهنم بتفاصيل دقيقة، كيف تغلي في قدر ضخم من الماء، مع الأشرار: كيف نربط بين حصانين ونقطع إلى جزئين. كيف... " ⁹.

تعتمد الجماعات الإسلامية المتطرفة المسيطرة على دواليب الحكم في مدينة " عين النخلة " على استراتيجية التهريب والترغيب بصورة تساعد على بسط هيمنتها على المدينة، مستهدفة تعليم النشأ الصاعد أو هام الهوية الأصولية وبناء خلافة إسلامية جديدة بعيدة كل البعد عن تطورات العصر وسياقات المعرفة المتنامية.

تتجلى النزعة التمردية للمرأة المثقفة عبر رغبة الإنفلات من نسق السلطة الذكورية/السياسية، والركود الفكري والثقافي، " فالنسق شبه الثابت للفكر الأبوي يبعد عن نفسه خدوش الأفراد، فيجهز عليهم باعتبارهم خارجين

عليه، وبخاصة النساء والشخصيات المثقفة، وينتظم مسار العالم مرة ثانية، وكأن تلك الشخصيات علامات كدّرت الركود العام فيه ¹⁰.

في ظل هذا المناخ الثقافي المتداخل تتجلى مساعي التنوير الفكري للطبقة المثقفة الواعية بالواقع، وبما يجب أن يكون عليه، الساعية إلى تجاوزه، في ظل ركود وتمايز ثقافي مُهيب؛ إذ " يبحث الواقع المأمول لنفسه -أبدا- عن نسق توافقي، يبتكر فيه الإنسان ذاته، ولكن بعد أن عمت ظلال العتمة، وغمر سراب الآمال الوجود، أصبح الفنان يرنو إلى الواقع المعمول، يديم النظر إليه، ويتطلع إلى اكتشاف الواقع المأمول على حساب ظلمة الأول؛ إذ ذاك يحاول رسم صورته في لحظة التجلي بالكشف، حين يريد معرفة الواقع السائد لكي يردّه إلى الأسمى ¹¹. بعد أن كان قابعا في ظلال العتمة.

ثالثا: المثقف والصراع مع السلطة:

من بين الإشكاليات الرئيسية التي تواجه المثقفين وتحاصرهم وتأرقهم فكرة الانتماء والولاء لطائفة ما؛ " فكل منا، وبلا استثناء، ينتمي إلى لون ما من الجماعات القومية أو العربية أو الدينية، ومن المحال على أي أحد، مهما يبلغ حجم احتجاجاته أو إنكاره، أن يقول أنه قد ارتفع فوق الروابط الحيوية (العضوية) التي تربط الفرد بالأسرة والمجتمع، وبطبيعة الحال، بالقومية كذلك ¹². والتي تعد سلما تقاس من خلاله تحركات ونشاطات المثقفين وحتى نواياهم.

يصبح المثقف مشبوها بمجرد انخراطه في تنظيم حزبي ما، أو انتسابه لمكان وأصل ثقافي معين من تقسيمات الوطن، الشيء الذي ينفي عنه السمات الطهرانية والنقاء الفكري، وبانتسابه هذا يتقمص صفات النفاية والحنالة في نظر الأصوليين من جماعة الجبهة الإسلامية، يقول الأصولي سائق سيارة التاكسي مُحدثا عن طبيب القرية " مزيان " المتوفي بالأمس:

" لماذا جاء هنا هذا القبائلي؟ أولاد الصحراء أنفسهم حينما يصبحون أطباء أو مهندسين، يهاجرون نحو الشمال أو إلى الخارج. لا يأتي الناس إلى هذا المكان إلا للسجن أو بسبب عقوبة تأديبية. نحن أهل الجنوب، لسنا في نظر

أثرياء التل إلا عقابا أو سجنًا أو نفاية. لا يبعثوا لنا إلا حثالة البلد. الدليل أن الطبيب هذا من الأرسيدي"¹³.

أما الطيبية "سلطانة مجاهد" فتمثل نموذج "المثقف الحر" الذي يتحمل مسؤولية "الإصلاح الاجتماعي" و "التنوير الفكري" ومساندة الفئات الهامشية القابعة تحت سلطة المركز والإكراهات الثقافية والدينية المختلفة؛ إذ "يتخذ المثقف على عاتقه الحديث باسم الأقليات المقهورة والغالبية المشردة من الفقراء والمعوزين، ليس دفاعا عن مصالح طبقة بعينها وإنما إحقاقا للحق ودفاعا عن الجوهر الكوني المؤسس لإنسانية الإنسان"¹⁴.

وهذا التوقع ليس بالأمر الهين، لأن المفكر/المثقف في اختبار غير مضمون العواقب، يقول المفكر الفلسطيني الأصل "إدوارد سعيد": "أظن أن الاختيار الرئيسي الذي يواجهه المثقف هو الاختيار بين الانضمام إلى استقرار المنتصرين والحكام أو السير في الطريق الشاق، أي أن ينظر إلى ذلك الاستقرار باعتباره حالة من حالات الطوارئ التي تهدد المستضعفين بخطر الفناء التام، وأن يأخذ في اعتباره تجربة الإنزواء في موقع ثانوي، وذكرى الأشخاص والأصوات التي طواها النسيان"¹⁵.

في مقابل المثقف الحر، هناك "السياسي المؤدلج" ذي التوجه الإسلامي المتطرف ممثلا في رئيس بلدية "عين النخلة"، "بكار" الذي يستغل سلطته السياسية للترويج لأفكاره في مجتمع ما يزال يقبع تحت مظلة الجهل الديني والفكري، هذا ما شرحه مساعد الطبيب المتوفي "مزيان" للطيبية "سلطانة" عقب وصولها لمصلحة حفظ الجثث لرؤية زميلها المتوفي، يقول عن ذلك:

"رئيس البلدية من الفيس. لا يحب الدكتور مزيان ولكنه سيحضر. لا يمكن أن يضيع فرصة كهذه لتمرير خطابه الدعائي. إنهم قلة من النشطاء يستमितون في تدجين شعب غارق في بؤسه ومحظوراته"¹⁶.

في الرواية إشارات إلى رغبة السياسي/الأصولي في إبقاء المثقف تحت الضغط والسيطرة من خلال محاصرة التحركات وتكثيف دوريات التفتيش إلى الأماكن التي يتردد عليها المثقف، من ذلك ما أقدم عليه رئيس البلدية "بكار"

عندما ذهب إلى منزل الطبيب المتوفي " مزيان " لتحذير زميلته " سلطنة " وحثها على الالتزام، تقول " سلطنة ":

" حينما هممنا بالخروج، تعالى طرق على الباب. عبر بـكّار العتبة، وببد حاسمة، أبعد صالح وتقدم نحوي. الآن، أتعرف جيدا على قسّمات هذا الوجه المغطى بلحية كثة. بكار، رئيس البلدية! هل سقط الناس في زيغ لا قاع له؟ هل الجزائر ملعونة إلى هذا الحد كي لا تعلي إلا من شأن الظلاميين، والقرصان والعنف"¹⁷.

تدفع التجاوزات الممارسة على الأطباء داخل المستشفيات إلى تقليل إنتاجيتهم والتخلي عن مشاريعهم الفكرية، وهو ما حدث مع الطيبية "سلطنة" التي أهملت التخصص في "علم الكلى" بسبب سطوة مسؤولي المصلحة المنتمين للفيّس، تقول:

" تذمر من آيات الله المسيطرين على المستشفى. إنني أحترس من التعميم. ولكن، حينما يتعاملون مع المسعفين، يتحول بعضهم إلى أصوليين، متعالين ومحتقرين. يسمحون لأنفسهم بإطلاق أحكام مسبقة مغلفة بالعلم أمام البني وي وي {المنافقين} المرعوبين الذين يلتفون حولهم"¹⁸.

نفس الأمر وقع مع الأستاذ الجامعي في رواية "ذاكرة الماء" لواسيني الأعرج، فسمّة التمزق ملّح ثابت في الروايات التي تتناول قضايا المثقفين وعلاقتهم بأوطانهم؛ إذ يعيش هؤلاء المثقفون نوعا من التفكك والضياع الوجودي، لذلك يصف السارد نفسه بالكائن البشري الضائع:

" ويزداد يقيني أكثر بأنّي لست بكل هذه الخطورة التي يتصورها الذين يريدون قتلي. مجرد كائن بشري ضائع داخل قفر اسمه المدينة. هم حتما مخطئون إذ يعتبرونني بكل هذه الخطورة"¹⁹.

وينتقل الترويج السياسي صيغته السياسية إلى فضاءات التكوين المعرفي الصغرى مثل المدارس لدس الأفكار الإسلامية المنتقاة بعناية فائقة للإيهام بصدق الدعوة الأصولية، ويتم ذلك عبر فئة من الأساتذة الذين جرفهم التيار الدعائي، تقول " دليلة " في إجابتها عن سؤال الطيبية:

" المدرسة؟ ماذا تريد أن تعرفي حول المدرسة؟ تقول ورده بأن المدرسة لم تعد فضاء للمعرفة. تقول بأنها أصبحت الآن ورشة للبلهاء والإسلاميين الصغار. إسلاميين بلهاء، مثل إخوتي "20.

لذا، فمن بين المواقف الجريئة للمثقف/المثقفة، تجاوز حدود التخصص، من معالجة الجسد الإنساني إلى الرغبة في علاج "أمراض الثقافة"، وتفكيك البنى الذهنية والأنساق الثقافية المساهمة في انحطاط المجتمع، وتنوير الفئات الهامشية بحقوقها وواجباتها وحثها على مجابهة الطغيان والظلم.

يبدو أن غالبية المثقفين اليوم، تدرك -بما لا يخالطه الشك- أن " القوى الرجعية المنحرفة، استخدمت الدين كسلاح بتار لخداع الناس وصرف أحاسيسهم عن مصائرهم الحالية، وحصرهم فيما يتعلق بالماضي، وتبديل المشاكل الحقيقية الراهنة عندهم إلى مشاكل ذهنية، وجذب اهتمامهم باسم الدين من مرحلة ما قبل الموت إلى مرحلة ما بعد الموت "21.

وذلك بهدف الإيهام بعدم فعالية حركية الحاضر والمستقبل وخلق نوع من اليأس لدى الجماهير، للتخفيف من حدة العراقيل التي قد تقف حاجزا أمام تنفيذ المشاريع السياسية لتلك القوى. وهو ما يجعل المثقف يفقد التوازن والفعالية داخل المجتمع، تحت ضغط العنف واللامن وغياب الهدف، تقول " سلطنة ":

" خرجت من المستشفى وتجولت بلا هدف. لمدة قصيرة فقط. بسرعة، حرّكت حمى العيون لا مبالاتي، تسائلني وتقاطعني. حشد من العيون، ريح سوداء، بروق وعود. لا أتجول. أشق كتلة من العيون. أمشي ضد العيون، بين نيرانها. ورغم ذلك، لا أملك جسما. لست إلا ضغطا يسافر تائها بين الماضي والحاضر، ذكرى بلهاء لا تتعرف على أي معلم "22.

فشل مشروع بناء عالم مثالي اضطر الطبية/المثقفة إلى بناء عالم داخلي كتعويض عن خسارة المعركة الواقعية مع المجتمع، وكثيرا ما تصف الرواية انزعاج وتدمير المثقفين من الفضاءات الثقافية العامة، وانزواءهم في أماكن عملهم أو قابعين في غرفهم المظلمة متأملين حذرين هائمين في دوايب خيالاتهم الفكرية اللاواقعية في كثير من الأحيان.

من جهة أخرى يندد الطبيب " صالح " بتخلي المثقف النخبوي عن أداء دوره في الحفاظ على النقاء الثقافي والفكري للوطن، مؤكداً في ذات الوقت هجرة النساء وهروبهن من تصدعات الوعي الزائف وسياسة الكيل بمكيالين المنتهجة ضد الفئات الأنثوية، يقول:

" هجر أولئك الذين لم يقبلوا هذه الحياة، هجروا كلهم نحو الخارج. إنها صفقة مريحة؟ أتعرفين، فبقدر ما أتفهم أن النساء يرغبن في مغادرة هذا البلد القذر. بقدر ما أئدد بهجرة النخبة الذكورية. أجد جنبهم بلا حد. لو بقي لهم غرام واحد من الوعي، عليهم أن يرجعوا ليُصلحوا ما تركوه يتعفن " ²³.

ويُحْمَلُ مسؤولية الخراب للفئات النخبوية من جيله، التي تعلقت بالشعارات الزائفة والإستهجمات الثورية والمشاريع الوهمية لبناء دولة العلم والحرية، بعيداً عن التأمل العميق لتجاذبات الواقع ومُتطلباته، ومما ورد في هذا السياق قوله:

" لم نتوقف عن قتل الجزائر شيئاً فشيئاً، امرأة بعد امرأة. إن طلبة جيلي من الذكور، النخبة زعيمة، قد سامهوا بقسط كبير في المذبحة. في البداية، ضللنا أنفسنا في الكذب والمكر. كل أشيائنا مزيفة، ملابسنا الماوية، وغرورنا الثوري! بعد انتهاء دراستنا، وضعناها جنباً مع خرافات خرقنا " ²⁴.

ولكن هذا الصمت من طرف المثقف له ما يبرره، فالمثقف في تلك المرحلة- يقع في منطقة تجاذب تجعل منه هدفاً سائغاً لتبرير همجية الحمية الهووية من جهة، ومصيصة فعالة لتحويل أصابع الاتهام لأطراف أخرى من جهة ثانية، وذلك في سياق الصراع المحموم على سدة الحكم ودواليب السلطة.

رابعاً: المثقف ومقاومة العنف:

ليست العلاقة بين السياسي والمثقف وليدة اللحظة الراهنة، وإنما هي علاقة أزلية تتأرجح بين المطابقة والمصادرة، بين الصداقة والعداوة، سمتها الأساسية هي العنف والنفي تحت وطأة الإثبات النرجسي للذات، ويكون ذلك " عندما يصبح تلبس مكانة الآخر ألتباساً وخطاً للأدوار والحقائق فينتج عنها صورة تاريخية، عنيفة المشهد ورهيبة المقصد، بين التواطؤ والصمت أمام ألوان الجور والتعدي والحصول على وابل من الإمتيازات والنفحات مقابل

المديح والتسبيح باسم الراعي، وبين الهجاء والقذح تجاه السياسي، مما ينجر عنه عداوة وبغضاء تؤوّل في غالب الأحيان إلى المطاردة والإستبعاد²⁵.

في رواية "ذاكرة الماء" لواسني الأعرج يصل العنف الأصولي ضد المثقفين إلى مستويات رهيبية تجعل الفضاء العام كابوسا حقيقيا، ففي الوقت الذي يزدهر في أوروبا فن "الغرافيتي/الكتابة على الجدران" باعتباره قيمة فنية ومظهر من مظاهر الرقي والتحضر، تزداد شوارع العاصمة قبحا عبر تهديدات الجماعات الإسلامية المتطرفة للمثقفين بالذبح وترصيعها على جدران الشوارع، فعندما سألت ريمة والدها عمّا يُمثّلُه يوم غد وهي متجهة نحو سريرها، أجابها بقوله:

" أعرف ... غدا يوم الثلاثاء. اليوم الذي يخرج فيه القتلة عادة سكاكينهم لذبح المثقفين. كتبوا على حيطان المدينة، وفي المحلات، وعند بوابات الساحات والمقاهي الشعبية: أيها الشيوعيون. ستذبحون حتى ولو تشبثتم بأستار الكعبة. قل إن الإرهاب من أمر ربي"²⁶.

انتقلت تهديدات الأصولي المتطرف من طور الصراع الفكري إلى طور التجسيد الميداني، فالمكان في هذه النماذج الروائية-بالنسبة للمثقف-لم يعد باعثا على الألفة والأمان المادي والمعنوي، وإنما غدى مكانا بائسا تتجلى فيه مظاهر العنف بكل أشكاله وصوره، وهي صورة للحياة العربية كما يشير إلى ذلك الناقد السوري " أدونيس "، " حيث يبدو العنف ضد الآخر المختلف ظاهرة عامة، وقاعدة أولى للفكر والعمل والسياسة في الحياة العربية، على صعيد العلاقات فيما بين الأفراد والجماعات، وفيما بين الحاكمين والمحكومين "²⁷.

ولعل المتضرر الأكبر من هذه الصورة الدموية العنيفة هم فئة المثقفين، نظرا للخطر الكبير الذي تشكله هذه الطائفة على السلطات المركزية بكل توجهاتها السياسية والإيديولوجية؛ إذ تظل حجر عثرة أما تجاوزات السياسي الطاغية والأصولي المتطرف، وهناك العديد من الشخصيات الثقافية التي تم نفيها أو التنكيل بها على مدى صفحات التاريخ الطويلة.

وتبدو صورة العنف ضد المثقفين أكثر بروزا في رواية " الممنوعة " التي تختتم أحداثها بإحراق الجماعات الإسلامية المتطرفة لمنزل الطبيب "

ياسين " والرد على هذا الفعل الشنيع من طرف نساء القرية بإضرار النيران في مقر البلدية، يقول الطفل " عليلو " مُحذراً " سلطنة " وأصدقائها الأطباء:

" لا تبقوا هنا، الوضع خطير. لقد أحرق مرباح وجماعته منزل الطبيب. والنساء، بعد أن أخبرهن الأطفال بما حدث، أحرقن بدورهن مقر البلدية. توجد معركة ساخنة بوسط القرية. يقال بأن رجلين قد قُتلا. أخشى أن يرتفع عدد الضحايا "28.

يدفع العنف الوحشي المثقف إلى ترك المكان الأصلي والنأي بنفسه إلى مكان آخر يضمن له الشروط والظروف اللازمة لمزاولة مهامه الفكرية والإنسانية بعيدا عن التعقيدات الثقافية والإكراهات الهويوية، ولهذا السبب تعود الطيبية " سلطنة مجاهد " إلى الغرب هُروبا من ويلات المذبحة، كما تدفع الظروف ذاتها المثقف الجزائري " أحمد سامي " بطل رواية " كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك " إلى الهجرة نحو إيطاليا بعد مقتل خطيبته " البهجة " على يد الإرهابيين، يقول المهاجر " عبد الله بن قدور " عن ذلك:

" ذات يوم ذهبت بهجة إلى بوفاريك لتزور أختها، في طريق عودتها أوقف الإرهابيون الحافلة في حاجز مزيف وأقدموا على ذبح كل المسافرين ما عدا الفتيات. حاولت بهجة الهروب من قبضة المجرمين والنجاة من الاغتصاب، فأطلقوا عليها وابلا من الرصاص. لم يقبل أحمد بالأمر الواقع فقع في البيت لا يغادره حتى اختفى وغاب عن الأنظار "29.

ولكن السؤال المطروح هنا يتعلق بالكيفية التي يُعبد بها هذا الفرد المثقف التارك لوطنه برمجة ذاته في بيئة أخرى مناقضة تماما لما كان عليه بين أبناء جلدته، كما أن الهروب من تيارات العنف الداخلي يفضي بالمهاجر إلى مواجهة عنف من نوع آخر، إنه عنف الآخر العنصري، فكيف يتسنى له التملص من ذلك؟، وما هي الآليات التي يعمدُ إلى تفعيلها خدمة لمشروعه الجديد؟.

خامسا: المثقف ومقاومة آلام المنفى:

تجري أنساق الهجرة في الغالب-على نمط ثابت، يتأسس على مشروع إقتصادي فردي أو لجوء أمني، لا يتعدى حدود الذاتية، ولكن للمثقفين المهاجرين غايات أخرى ذات طابع إنساني تتميز بالحركية وعدم الجمود، يقول

الناقد الفلسطيني الأصل والمنفي في أمريكا " إدوارد سعيد ": " إن المثقف الذي يدفعه إحساس المنفى لا يستجيب إلى منطق ما هو تقليدي بل إلى شجاعة التجاسر، وإلى تمثيل التغيير، والتقدم إلى الأمام لا إلى الثبات دون حركة "30.

وانطلاقاً من السعي الدؤوب إلى تحرير الفكر البشري من سلطة الظلم والقهر ومساندة الأقليات في كل مناطق العالم، يكون المثقف أكثر حساسية ومعاناة؛ إذ " يعيش المنفي {المثقف} توتراً ثقافياً أكثر من غيره، ولهذا فهو دائم التأمل في جرحه، وهو يقف مُرغماً في موقف متميز من الثقافة، يعتصره الألم ويزج به إلى الخيال والإبداع في مجالات الثقافة، (الرواية، السينما، الموسيقى..) تكاد كلها أن تكون تعويضا متعالياً، وتصعيداً للإحباط وخسارة المنفى "31.

ولكن ثمة طائفة من المثقفين العرب والأفارقة وحتى الأوروبيين المنفيين استطاعت تجاوز أزمة الانتماء المزدوج، وتحقيق الذات في ظل كثرة المتغيرات المكثفة، وذلك عبر التمرس برؤى فكرية وآليات ثقافية ونفسية عالية الكفاءة، على غرار المهاجر " أميدو " بطل رواية " كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك " للروائي الجزائري " عمارة لخص ".

إذ يُعد المثقف الجزائري المهاجر " أحمد سالمي " الملقب بـ " أميدو " من المثقفين ذوي الثراء المعرفي المتنوع، وهو ما يشهد به صديقه الإيطالي الذي يعمل كأستاذ بجامعة روما " أنطونيو ماريني " على إثر نقاشاتهما عن التاريخ والأديان، يقول:

" اكتشفت أنه مُطلعٌ جداً على الإستعمار الروماني في إفريقيا... ما شد انتباهي هو معرفته الجيدة بالقديس أوغستين، لا شك أنه كاثوليكي أصيل، يؤمن بقيم الكنيسة المتمثلة في قداسة العمل والعائلة. كما أنه مطلع على الإنجيل ... لم يكن مقتنعاً بأن الحقيقة تجعلنا أحراراً بل على العكس تماماً قال إن الحقيقة هي قيد يجعلنا عبيداً "32.

يبني "أميدو" معرفة متكاملة عن تاريخ الآخر الأصلي، وهي معرفة تضعه أمام خيارات متعددة لانتقاء ما يتناسب مع منطلقاته وإمكاناته وغاياته وتأسيساً على هذا النسق المعرفي يفصح عن هدفه داخل المجتمع الإيطالي،

المتمثل في البحث عن الحقيقة وكشفها في عالم مليئ بالغرائب والتناقضات، متجاوزا بذلك طموحات المهاجرين العاديين، الباحثين فقط عن كيفية إعادة التمرکز في الأوساط الغربية، يقول مؤصحا ذلك:

[illegible]

ساعدته معرفته الواسعة على الجزم بالطابع العنصري للمجتمع الإيطالي، فتجاوز بذلك مرحلة البحث عن الذات مرحلة إلى البحث عن الحقيقة، والإستفادة من إيطاليا دون الوقوع ضحية لها، وقد مكَّنه من تقمص هذا الدور الكفاءات والآليات الثقافية التي يتمتع بها، لدرجة عدم قُدرة الإيطاليين على تمييز هُويته الحقيقية، " ومن ثم يصبح واجبه الرئيسي إحكام مهارات البقاء والتعايش هنا، مع الحرص الدائم على تجنب خطر الإحساس بأنه حقق درجة أكبر مما ينبغي من الراحة والأمان"³⁴.

كما يُحيل المقطع السابق إلى أزمة التوتر الداخلي باعتباره سلاحاً ذو حدين بالنسبة للمهاجر "أميدو"، وقدرته على تحويل الأزمة إلى حوافز تدعم مشروعه القائم على نوع من "التقمص الثقافي"، فالمهاجر يقع رهينة لـ "منظومة جدل مستمر ترصد الإنقسامات الجوهرية في الذوات والتوتر الناتج عن إدراك ذلك التنشيطي وكيف يتحول إما إلى هوية إشكالية، أو إلى حافز للتماهي مع هوية الآخر المتحكم، والإحتماء بتمركزه العرقي والثقافي"³⁵.

تتجلى القدرة الفائقة لـ"أميدو" على تغييب مُنغصات استعادة الفضاء الأصلي في ندرة الإشارات الدالة على "الجزائر"، منذ أن فرّ منها إلى "إيطاليا"، فـ "سرعان ما يصير فقدان المكان مدعاة لإخراس أي صدى له في الوعي وفي الخطاب اليومي، مثلما تظمر أي علامة انكسار خلف حجب كثيفة في الذاكرة، فيخبوا -تدرجيا- الشعور بالإنتماء والتملك، مفسحا المجال لوعي منزاح عن فطرته، يكاد يكون حياديا، وعلى درجة عالية من التعقيد"³⁶.

ويتضح اختلافه عن بقية المهاجرين من خلال سلوكاته وعاداته الثقافية اليومية؛ إذ ينتقل يوميا إلى قاعة السنما، وقاعة المطالعة، وهو كثير النقاشات مع الطالب الهولندي، ومع أستاذ التاريخ بجامعة روما، وبالرغم من ارتياده لمحل بيع الخمر إلا أنه لا يتخلّى عن عادة المطالعة، يقول عنه البائع في ذات المحل "ساندرونديني":

"جلس على الطاولة وأخذ يتصفح صحيفة "الكورييري دلا سيرا"، ثم رأيته يقرأ عمود الصحفي إنرومونتالي. لم أشاهد في حياتي كلها صينيا أو مغربيا أو هنديا أو رومانيا أو غجريا أو مصريا يقرأ "الكورييري دلا سيرا"! المهاجرون يتصفحون فقط جريدة بورتا بورتيزي التي تحتوي على إعلانات العمل"³⁷.

هذا الربط والإنسجام الفريد بين هويته الأصلية والبديلة جعله يتلقى الثناء والإجماع من كل سكان حي "ماركوني" كونه الرجل المتميز المساعد على حل المشاكل النفسية والبيروقراطية للمهاجرين داخل المجتمع الإيطالي، يقول في حقه الباكستاني المهاجر "إقبال أمير الله":

"السنيور أميدو طيب كعصير المانجو، كان لا يتأخر عن مساعدتنا في كتابة الشكاوى وإعطائنا النصائح اللازمة لمواجهة العراقيين البيروقراطية. لا أزال أذكر وقوفه بجانبني ومساعدتي لحل مشكلتي التي طال أمدها وسببت لي القرحة المعديّة"³⁸.

تمكن المهاجر أميدو من نسج علاقات مع مراكز مختلفة بإيطاليا على غرار العلاقة بينه وبين المفتش الإيطالي "بيتاريني"، وبذلك استطاع حل مشكلة المهاجر الباكستاني المتمثلة في تشابه اسمه ولقبه مع مجرم مطلوب لدى المحاكم الدولية؛ فالتنكر/التقمّع الثقافي يمنح المهاجر القدرة على التمويه الثقافي والخروج من دائرة الآخر الوافد المغضوب عليه، ما يجعله ينتقل داخل المجتمع المضيف بكفاءة عالية.

في سياق المقاومة يؤكد الناقد "إدوارد سعيد" على أن المثقف يجب أن يتموقع في الهامش وأن ينظر إلى نفسه على أنه مهاجر وإن لم يكن كذلك واقعيًا، "وأن يتخيل ويبحث ويستقصي على الرغم من الحواجز، وأن يسير

دائماً في الطريق الذي يبتعد به عن السلطات المركزية ويقترّب به من الهوامش، فهناك تستطيع أن ترى الأشياء التي عادة ما لا تدركها العقول التي لم تبتعد يوماً عن كل ما هو تقليدي ومُريح"³⁹.

ولكن بمجرد أن تخلى " أميدو " عن قناع "الأصولية الإيطالية" واعترف بأنه مهاجر ولا ينتمي لإيطاليا، حتى انقلبت الأصوات المؤيدة إلى أصابع اتهام؛ إذ تم اتهامه بجريمة قتل داخل مصعد العمارة التي يقطن بها، يقول الجزائري المهاجر بائع السمك في روما " عبد الله بن قدور ":

" ألا ترون ماذا تقول الصحف عن أحمد من أكاذيب، عندما اكتشفوا أنه مهاجر وليس إيطاليا، لم يتأخروا في اتهامه بجريمة القتل. لقد أخطأ أحمد عندما سيح خارج الحوض. اختفاؤه هذا يثير التساؤل القديم الذي حير أولاد الحومة كثيرا: أين ذهب أحمد أو أميدو-كما تسمونه أنتم؟"⁴⁰.

يتأثر غالبية المهاجرين بخلفياتهم الثقافية والتاريخية، وتتحدد على إثرها نوعية الحكم عليهم، بغض النظر عن تطابق السلوكات مع الخلفيات، فرغم إعجابهم الشديد بتعاملات هذا المثقف المهاجر وبسمعته الطيبة، إلا أن سمة المهاجر تبقى كفيلة بتوجيه كل الصفات العدوانية، " والمثقف الذي يعتبر نفسه جزءاً من نظام عام تخضع له الجالية القومية النازحة لن يكون على الأرجح مصدراً للتأقلم والتكيف الثقافي بل مصدراً للقلقة والبلبلة وزعزعت الاستقرار"⁴¹.

ليس من السهولة بمكان، أن يمارس المهاجر المثقف تمثيلية الخفاء والتجلي في فضاء أجنبي مشدود بأوهام النقاء الجنسي والتطرف الديني وسائر الإيديولوجيات الشاذة والمتطرفة، فمجابهة المراكز تستدعي منها التنقيب عن خيوط الأصل والانتماء والتوجه وغيرها؛ لذا " كان الهامش هو المأوى المثالي للقاصرين عن مجارة لعبة الخفاء والتجلي، وفضاء للإنسجام التام بين الموقف الحياتي وصيغ التوصيل والتمثيل. والنتيجة أن المنفى كهامش أقصى يمثل دائرة القيم الأصلية والقاعدة المركزية لإنتاج مفاهيم المقاومة "⁴².

بالرغم من أن إيطاليا هي بلد الانفتاح الثقافي، إلا أن الفرد المثقف يبقى مُتابعاً بتهمة التحديد والانتماء السياسي؛ لأن طبيعة السلوكيات المتكررة تدعوا

الآخرين إلى وسمه بتيار واتجاه معين، فالمهاجر المثقف " أميدو " مثلاً يمتنع عن استعمال كل ما يمتُّ بصلّة إلى مظاهر الحضارة، ما جعل صديقه الأستاذ الإيطالي يشك في انتمائه لدعاة حماية البيئة (الخضر)، يقول:

" يجب أن أعترف أن امتناع أميدو عن استعمال المصعد والأتوبيس والمetro وتعلقه بالمشي جعلني أشك في انتمائه إلى تيار سياسي يفوق النازية والفاشية والستالينية خطورة ألا وهو تيار " الخضر " أنا لا أخرج من تسمية دعاة حماية البيئة بالبرابرة الجدد لأنهم يسعون بكل الطرق إلى إيقاف عجلة التقدم والتكنولوجيا وإعادة البشر إلى كهف العصر الحجري"⁴³.

تظل سمات التخلف وصمة على جبين المنتمين لدول العالم الثالث، حتى من فئة المثقفين، وهي من بين العقبات التي يواجهها المغتربون، ولهذا فإن، " المفكر المنفي أشد الناس إحساساً بالإغترابين الوجودي والفكري، لأنه يواجهه على صعيدين: الواقع اليومي وما يفرضه من احتكاك وتواصل مع آخر مختلف في تصورات وذهنياته، وواقع فكري جديد، يضع المفكر المنفي أمام منتج غربي، لا يحيد في تصوره للشرقي عن التصور الإمبريالي السابق، فيقرأ في أدب الغرب صورة الغربي المتحضر والشرقي المتخلف"⁴⁴.

على صعيد آخر، وبالرغم من إتقان "أميدو" لعبة التنكر والعيش بهوية بديلة، مؤغلة في التطابق مع الآخر، إلا أن المنفى يظل خمسا عنيدا صعب المراس؛ إذ أصبح " أميدو " يعاني من ألم الذاكرة الثقافية، ورغبة التخلص من إحدى الهويتين، الأصلية والبديلة، يتضح ذلك في قوله:

" أه من الذاكرة الملعونة! الذاكرة صخرة سيزيف اللعينة. من أنا؟ أحمد أم أميدو؟ أه يا بهجة! هل من سعادة بعيدا عن ابتسامتك؟ هل من راحة بعيدا عن حضنك؟ هل حان وقت الإستراحة؟ إلى متى سيدوم المنفى؟ إلى متى سيدوم العواء؟ أوووووووووووووووووووووووووووووو"⁴⁵.

بناءً على هذا، يتضح أن الذاكرة بمثابة حتمية وضرورة لا مناص منها، " فالبعض يحرقون بشكل مُحزن إرثهم إلا أن الكراهية ونسيان الجذور لا تثمر شيئا، ذلك أن المقاومة ليست دفاعا عن قومية بعينها، وإنما هي نقد كوني لرؤية

العالم من خلال تحريك الهوامش، وبالتالي أهمية الحفاوة بجميع أطراف اللقاء الإنساني⁴⁶.

سادسا: خاتمة:

- تلمظهرت أشكال المقاومة لدى المثقف انطلاقا من انتقاده للجمود الفكري والثقافي والهويات والتقاليد الزائفة، ورفضه لسياسة العنف المنتهجة من قبل السلطة، ثم مقاومة كل هذا في مرحلة تالية، ولعب دور الوسيط الثقافي والفكري والمُخلص والمساند للفئات الهامشية المغلوب عليها.

- تراوحت مواجهة المرأة/المثقفة، للرجل/الأصولي، بين الرغبة في التحرر من سلطة الرقابة الذكورية وممارسة الهوية الذاتية الأنثوية دون قيود دينية وهوية، وبين الرغبة في التملك من قبل الآخر الذكوري والهيمنة تحت دعوى الشرعية الدينية والثقافية. وتبدو تحركات المثقفة نابعة من ذاتيتها غير المؤطرة بمؤسسات معينة، عكس تحركات السياسي الأصولي المدفوعة بقوى وتنظيمات سياسية.

- يرفض المثقف الإنصياع لتهديدات السياسي السلطوي الأصولي، كما يرفض الإنتماء لفئة الغالبين، مُتمركزا في الهامش، لأداء رسالته التنويرية، لذا؛ فقد ظلت العلاقة بينهما تتأرجح بين المصادرة والإنقراض، الشد والجذب، الصداقة والعداوة، في محاولة لإثبات التفوق النرجسي لكل ذات، وغالبا ما تنتهي العلاقة باستكانة المثقف ورغبته في التخلي عن المقاومة، وترك المكان والإغتراب بأشكاله المتعددة (الداخلي، الخارجي، النفسي، الإجتماعي...).

- تتسم علاقة المثقف مع المجتمع بالمحاصرة المادية والمعنوية انطلاقا من الوحدات البنيوية الصغرى (العائلة، مكان العمل...) وصولا إلى المجتمع كوحدة بنيوية كبرى؛ فكثيرا ما تُبدي شخصيات المثقفين تدمرها من الفضاء وفقدانها لبوصلة الحياة، والرغبة في الإنزواء وترك المكان، نتيجة لعدم تلقي الدعم الجماهيري، والقبول الثقافي في ظل الركود والثبات الفكري المخيم على المجتمع.

- يمنح التتكر الثقافي المثقف المهاجر القدرة على التمويه الثقافي والخروج من دائرة الآخر الوافد المغضوب عليه إلى دائرة النموذج الأصلي المثالي، ما يجعله يتنقل داخل المجتمع المضيف بكفاءات وتقنيات ثقافية ونفسية عالية.

- يقع المثقف المهاجر بين مأزقي الحفاظ على الهوية الماضوية ومُسايرة تعقيدات الممارسة المدنية داخل النظم الإجتماعية الغربية، إضافة إلى اشتغاله على تفكيك المغالطات الثقافية والمرويات المصطنعة، ومُجابهة المد العنصري، ومُساندة الأقليات المهاجرة، والتملص من ضغط السلطة، وقبل كل هذا حماية منظومته النفسية من موجات الإغتراب وتداعيات الذاكرة.

الهوامش:

- 1- محمد برادة: الذات في السرد الروائي، قراءة في 40 رواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص 204.
- 2- نورة بعيو: الإتجاه ما بعد كولونيالي والأدب النسوي: قراءة أنساقية في نماذج رواية جزائرية، ضمن كتاب: العين الثالثة، تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص 66.
- 3- مليكة مقدم، الممنوعة، تر: محمد ساري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص 16.
- 4- نفسه، ص 15-16.
- 5- نفسه، ص 10.
- 6- نفسه، ص 12.
- 7- نفسه، ص 11.
- 8- نفسه، ص 36-37.
- 9- نفسه، ص 94.
- 10- عبد الله إبراهيم: السردية العربية الحديثة، الأبنية السردية والدلالية، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 85.
- 11- عبد القادر فيدوح: تأويل المتخيل، السرد والأنساق الثقافية، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2019، ص 9-10.
- 12- إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص 83.
- 13- مليكة مقدم: الممنوعة، ص 14-15.

- 14- محمد شوقي الزين: الذات والآخر، تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 90.
- 15- إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ص 75-76.
- 16- مليكة مقدم: الممنوعة، ص 19.
- 17- نفسه، ص 59.
- 18- نفسه، ص 79-80.
- 19- واسيني الأعرج: ذاكرة الماء، محنة الجنون العاري، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، ط4، 2008، ص 73.
- 20- مليكة مقدم: الممنوعة، ص 93.
- 21- علي شريعتي: مسؤولية المثقف، تر: إبراهيم الدسوقي شتا، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص 139.
- 22- مليكة مقدم: الممنوعة، ص 85.
- 23- نفسه، ص 52.
- 24- نفسه، ص 52.
- 25- محمد شوقي الزين: الذات والآخر، ص 87.
- 26- واسيني الأعرج: ذاكرة الماء، ص 49-50.
- 27- أدونيس: موسيقى الحوت الأزرق، (الهوية، الكتابة، العنف)، دار الآداب، بيروت، ط1، 2002، ص 153.
- 28- مليكة مقدم: الممنوعة، ص 190-191.
- 29- عمارة لخص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2006، ص 131.
- 30- إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ص 116.
- 31- إسماعيل مهناة: العرب ومسألة الاختلاف، مآزق الهوية والأصل والنسيان، منشورات القرن 21، الجزائر، 2016، ص 161-162.
- 32- عمارة لخص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 86-87.
- 33- نفسه، ص 93-94.
- 34- إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ص 95.
- 35- شرف الدين ماجدولين: الفتنة والآخر، أنساق الغيرية في السرد العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص 182.
- 36- نفسه، ص 186.
- 37- عمارة لخص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 105-106.
- 38- نفسه، ص 52.

- 39- إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ص 115.
- 40- عمارة لخص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 135.
- 41- إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ص 97.
- 42- شرف الدين ماجدولين: الفتنة والآخر، ص 2002.
- 43- عمارة لخص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 89.
- 44- سامية بن عكوش: الطباقية أسلوب للتواجد والمقاومة، في فكر إدوارد سعيد، ضمن كتاب: إدوارد سعيد، الهجنة، السرد، والثقافة، منشورات القرن 21، الجزائر، 2016، ص 197-198.
- 45- عمارة لخص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 150.
- 46- عمر بوجليدة: فكر الهجنة والوعي بالآخر، السرديات العنصرية والمثقف المقاوم، ضمن كتاب: إدوارد سعيد، الهجنة، السرد، والثقافة، ص 99.